دفاع عن الحديث النبوي والسيرة

في

الرد على جهالات الدكتور البوطي في كتابه

« فقه السيرة »

بقلم

محمد ناصر الدين الألباني

منشورات
مؤسسة ومكتبة الخافقين
محمد مفيد الخيمي
دمشق ـ هاتف : ١١٥٣٧٦ ص.ب ٥٢٧٩

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة بين يدي الرسالة

الحمد لله رب العالمين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ، فبين يديك أيها القارىء الكريم بحوث علمية حديثية ، في نقد كتاب « فقه السيرة » للدكتور محمد سعيد البوطي الأستاذ في كلية الشريعة في جامعة دمشق ، كان وضعه لطلاب السنة الثانية في الكلية ، وكنت نشرت هذا النقد في مجلة التمدن الاسلامي الغراء بحوثاً متتابعة ، رجوت منها أن يجد الطلاب وغيرهم فيها « نموذجاً صالحاً للنقد العلمي النزيه » القائم على البحث والالتزام القواعد العلمية الصحيحة ، عسى أن يزيدهم ذلك عناية بدراسة الحديث الشريف دراسة عملية ، وبذلك يحيون ما كاد يندرس من هذا العلم العظيم ، بسبب اقتصار المدرسين والأساتذة على تدريسه دراسة نظرية محضة ، وإصدارهم على أساسها تأليفاتهم التي يؤلفونها لطلابهم أو لغيرهم ، غير مراعين فيها أبسط تلك القواعد العلمية ، من اختيار النصوص الصحيحة ، والأحاديث الثابتة ، من المصادر الموثوقة والمراجع المعتمدة ، مع العزو اليها ، وتخريجها تخريجاً علمياً دقيقاً ، فترى أحدهم ـ وهو أستاذ هذه المادة : الحديث ـ يورد حديثاً نبوياً ، أو خبراً متعلقاً بسيرته عليه الصلاة والسلام أو أخلاقه ؛ يقول في تخريجه : « رواه أبو داود » أو « رواه ابن هشام في (السيرة) !! وهو يظن أنه بذلك قد أدى الأمانة العلمية المطوقة في عنقه ، وأنه نصح لطلابه ! هيهات هيهات ! فإن التزام المنهج العلمي المشار اليه في الدراسة الحديثية يوجب عليه قبل هذا التخريج المقتضب أن يدرس إسناد ذلك الحديث أو الخبر ، وبتتبع رجاله ، ويتعرف علله ، وأقوال أهل الاختصاص

فيه ثم يحكم عليه بما تقتضيه هذه الدراسة من صحة أو ضعف ، ثم يقدم خلاصتها إلى طلابه مع التخريج المذكور ، وإلا فمثل هذا التخريج المبتور الذي جرى عليه الأستاذ المشار اليه ؛ مما لا يعجز عنه أحد من الطلاب أنفسهم إن شاء الله تعالى » .

ذلك مـــا كنت كتبته في مقدمة رسالتي « نقد نصوص حديثية في الثقافة العامة [1] للشيخ محمد المنتصر الكتاني ، وهو ينطبق على الدكتور البوطي تمام الانطباق بل إن هذا زاد على الشيخ فادعى لكتابه « فقه السيرة » من الصحة ما ليس له كما كنت أشرت إلى ذلك في التعليق على المقدمة المذكورة فقلت مانصه :

«ثم وقفت على كتاب « فقه السيرة » للاستاذ الفاضل الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، فرأيته نحا فيه نحو الأستاذ الكتاني ، فأورد فيه كثيراً من الأحاديث الضعيفة والمنكرة ، بل ومالا أصل له ألبتة ، ولكنه زاد عليه فنص في المقدمة أنه اعتمد فيه على ما صح من الأحاديث والأخبار ! ولكن دراستي للكتاب بينت أنها دعوى مجردة ، وأن جل اعتماده كان على كتاب فضيلة الشيخ محمد الغزالي : « فقه السيرة» الذي لم يقتصر الدكتور على أن يأخذ اسمه فقط ، بل زاد عليه فاستفاد منه كثيراً من بحوثه ونصوصه ، بل وعناوينه ! كما استفاد من تخريجي إياه المطبوع معه ، مع اختصار له مخل ، ليستر بذلك ما قد فعل ، وقد انتقدني في ثلاث مواطن منه تمنيت – يشهد الله – أن يكون مصيباً ولو في واحد منها ، ولكنه على العكس من ذلك ، فقد كشف بذلك كله أن هذه الشهادات العالية ، وما يسمونه بـ (الدكتوراه) لا تعطي لصاحبها علماً وتحقيقاً وأدباً ، وإني لأرجو أن تتاح لي الفرصة ، لأتمكن من بيان هذا الاجمال والله المستعان».

---

(١) نشرت أولاً في مجلة التمدن الاسلامي الغراء (مجلد ٣٣ و ٣٤) ثم أفردت في رسالة ، وذلك قبل عشر سنين .

ثم أتيحت لي الفرصة ، فبينت الإجمال المشار إليه في هذه الرسالة ، التي يعود الفضل الأول في نشرها للسادة القائمين على مجلة التمدن الاسلامي الغراء . وبخاصة منهم الأستاذ أحمد مظهر العظمة شفاه الله وقواه ، فقد نشرت فيها تباعاً في مقالات متسلسلة من العدد (٧ – مجلد ٤٢ – ٢ – مجلد ٤٤) ، ثم أفردتها في هذه الرسالة ليعم النفع بها ، ويطلع عليها من لم يتمكن من متابعتها في المجلة الغراء .

هذا ، وقد نمي إلي أن بعض الأساتذة رأى في ردي هذا على الدكتور شيئاً من الشدة والقسوة في بعض الأحيان ، مما لا يعهدون مثله في سائر كتاباتي وردودي العلمية ، وتمنوا أنه لو كان رداً علمياً محضاً .

فأقول : إنني أعتقد اعتقاداً جازماً أنني لم أفعل إلا ما يجوز لي شرعاً ، وأنه لا سبيل لمنصف إلى انتقادنا ، كيف والله عز وجل يقول في كتابه الكريم في وصف عباده المؤمنين : (والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون . وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ، ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل . إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم . ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور) . فان كل من يتتبع ما يكتبه الدكتور البوطي في كتبه ورسائله ويتحدث به في خطبه ومجالسه يجده لا يفتأ يتهجم فيها على السلفيين عامة ، وعلي من دونهم خاصة ، ويشهر بهم بين العامة والغوغاء ، ويرميهم بالجهل والضلال ، وبالتبله والجنون ، ويلقبهم بـ (السفليين) و (السخفيين) !! وليس هذا فقط ، بل هو يحاول أن يثير الحكام ضدهم برميه إياهم بأنهم عملاء للاستعمار : إلى غير ذلك من الأكاذيب والترهات التي سجلها عليه الأستاذ محمد عيد عباسي في كتابه القيم « بدعة التعصب المذهبي » (ص ٢٧٤ – ٣٠٠) وغيرها ، داعماً ذلك بذكر الكتاب والصفحة التي جاءت فيها هذه الأكاذيب .

ومن طاماته وافتراءاته قوله في « فقه السيرة » (ص ٣٥٤ – الطبعة الثالثة) بعد أن نبزهم بلقب الوهابية : « ضل أقوام لم تشعر أفئدتهم بمحبة رسول الله

ﷺ وراحوا يستنكرون التوسل بذاته ﷺ بعد وفاته » . وهـــذا كأنه اجترار من الدكتور لفرية ذلك المتعصب الجائر : « إن هؤلاء الوهابيين تنقزز نفوسهم أو تشمئز حينما يذكر إسم محمد ﷺ ». (١)

والدكتور حين يلفظ هذه الفرية يتذكر أن الواقع الذي هو على علم به — يكذبها فإن السلفيين وأمثالهم بفضل الله تعالى — من بين المسلمين جميعاً — شعارهم اتباعهم للنبي ﷺ وحده دون سواه ؛ وهو الدليل القاطع على حبهم الخالص له الذي لازمه حبهم لله عز وجل ، كما قال : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) . ولعل الدكتور بهذا الفضل الإلهي على السلفيين حمله حقده عليهم على أن يحاول إبطال دلالة الآية المذكورة على ماسلف ، بل وعلى تضليل السلفيين مجدداً لفهمهم إياها هذا الفهم الواضح وأنها تعني ان الاتباع دليل المحبة وأنها لاتنفك عنه فقال (ص ١٩٥ — الطبعة الثالثة) : « ولقد ضل قوم حسبوا أن محبة رسول الله ﷺ ليس لها من معنى إلا الاتباع والاقتداء ، وفاتهم أن الاقتداء لايأتي إلا بوازع ودافع ، ولن نجد من وازع يحمل على الاتباع إلا المحبة القلبية . . . . . » .

وأقول : إن الذي (ضل) إنما هو الذي يناقض نفسه بنفسه من جهة ، فأول كلامه ينقض آخره لأنه إذا كان لا يحمل على الاتباع إلا المحبة القلبية ، وهو كذلك وهو الذي نعتقده ونعمل به فكيف يتفق هـذا مع أول كلامه الصريح في أن المحبة لها معنى غير الاتباع ؟ ! ولو كان الأمر كذلك وثبت الدكتور عليه لأبطل دلالة الآية والعياذ بالله تعالى .

ومن جهة أخرى فقد افترى علينا بقوله : « وفاتهم أن الاقتداء . . . . » الخ . فلم يفتنا ذلك مطلقاً بحمد الله بل نعلم علم اليقين أنه كلما ازداد المسلم اتباعاً للنبي ﷺ ازداد حباً له ، وأنه كلما ازداد حباً له ازداد اتباعاً له ﷺ ، فهما أمران

---

(١) أنظر مقدمتي لشرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٤ — الطبعة الرابعة)

متلازمان كالايمان والعمل الصالح تماماً .

فهذا الحب الصادق المقرون بالاتباع الخالص للنبي ﷺ ، هو الذي أراد الدكتور أن ينفيه عن السلفيين بفريته السابقة، فالله تعالى حسيبه ، (وكفى بالله حسيبا) .

ذلك قليل من كثير من افتراءات الدكتور البوطي وترهاته ، الذي أشفق عليه ذلك البعض ، أن قسونا عليه أحياناً في الرد ، ولعله قد تبين لهم أننا كنا معذورين في ذلك ، واننا لم نستوف حقنا منه بعد ، (وجزاء سيئة سيئة مثلها) ولكن ن نستطيع الاستيفاء ، لأن الافتراء لايجوز مقابلته بمثله ؛ وكل الذي صنعته أني بينت جهله في هذا العلم وتطفله عليه ومخالفته للعلماء ،وافتراءه عليهم وعلى الأبرياء ، بصورة رهيبة لاتكاد تصدق ،فمن شاء أن يأخذ فكرة صريعة عن ذلك ، فليرجع إلى فهرس الرسالة هذه ير العجب العجاب .

هذا ، وهناك سبب أقوى استوجب القسوة المذكورة في الرد ينبغي على ذلك البعض المشفق على الدكتور أن يدركه ،ألا وهو جلالة الموضوع وخطورته الذي خاض فيه الدكتور بغير علم ، مع التبجح والادعاء الفارغ الذي لم يسبق اليه ، فصحح أحاديث وأخباراً كثيرة لم يقل بصحتها أحد ، وضعف أحاديث أخرى تعصباً للمذهب ، وهي ثابتة عند اهل العلم بهذا الفن والمشرب ، مع جهله التام بمصطلح الحديث وتراجم رواته ، وإعراضه عن الاستفادة من أهل العلم العارفين به ، ففتح بذلك بابا خطيراً أمام الجهال وأهل الأهواء أن يصححوا من الاحاديث ماشاؤا ، ويضعفوا ماأرادوا، « ومن سن في الاسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة » .

وسبحان الله العظيم ، إن الدكتور مايفتأ يتهم السلفيين في جملة ما يتهمهم به بأنهم يجتهدون في الفقه وإن لم يكونوا أهلا لذلك ، فإذا به يقع فيما هو شر مما اتهمهم به تحقيقاً منه للأثر السائر : « من حفر بئراً لأخيه وقع فيه » ! أم أن

الدكتور يرى أن الاجتهاد في علم الحديث من غير المجتهد بل من جاهل يجوز ، وإن كان هذا العلم يقوم عليه الفقه كله أو جله !!

من أجل ذلك فإني أرى من الواجب على أولئك المشفقين على الدكتور أن ينصحوه (والدين النصيحة) بأن يتراجع عن كل جهالاته وافتراءاته ، وأن يمسك قلمه ولسانه عن الخوض في مثلها مرة أخرى ، عملا بقول نبينا محمد ﷺ : «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قيل : كيف أنصره ظالماً ؟ قال : تحجزه عن الظلم فإن ذلك نصره» . أخرجه البخاري من حديث أنس ، ومسلم من حديث جابر ، وهو مخرج في «الإرواء» (٢٥١٥) .

فان استجاب الدكتور فذلك مانرجو ، و (عفا الله عما سلف) ، وإن كانت الأخرى فلا يلومن الا نفسه ، والعاقبة للمتقين ، وصدق الله العظيم إذ يقول : (إنا لننصر رسلنا والذين آمنو في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد . يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) .

وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

دمشق في ٢٧ جمادي الآخرة سنة ١٣٩٧ هـ

محمد ناصر الدين الألباني